من أدب الدعوة

الشيخ محمد داود

دار المنار

من أدب الدعوة

مكتبة
د. محمد داود

تأليف
الشيخ محمد داود

٤٧١٩
مكتبة د. محمد داود
الرقم العام : ٤٧٤
الرقم الخاص : ٢١٣ / م - م
رقم الورود : ٢١ / ٥ / ٢٠٠٦

دار المنار

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٩/٧٨٠٢

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلي
الزقورة/٣/ عيضان الموصلي بجوار جامع الدعاء

مكتبة
د. محمد داود

مِن أدب الدعوة

تأليف

الشيخ محمَّد داود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)

(هود: ٨٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فقد شغلنى أمرُ اختلاف المسلمين وتنازعهم منذ سنوات عديدة، وهو أمر كدَّ عقلى، وأتعب رأسى.

فكم أتجرع المرارة مع كل محنة يتسبب الاختلاف فيها، ويؤدى التنازع إليها.

وكم تؤلمنى الحيرة التى تظهر على وجوه الشباب حديثى السن، حين يشوِّش الاختلاف عليهم الرؤية، ويعكِّر عليهم فرصة الاختيار.

وكم أتميز غيظًا حين ألحظ حامل لواء الباطل أذكى وأعقل من حامل راية الحق.

وكم أدعو وأتضرع أن يهب الله تعالى لهذا الشباب من يجمع شَمْله، ويوحِّد صفَّه، ويرشد عقله بأن الأمر جِدُّ خطير.

لذا أستسمحك أخى المسلم فى جزء يسير من وقتك، تقرأ فيه هذه الرسالة التى أوجِّهها لك، غيورًا على الإسلام،حريصًا على نصرته.

(رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) (آل عمران: ٨)

وصلى الله على معلِّم الناس الخير، سيدنِا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

تمهيـد

قال الله تعالى:

(وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) [1].

وروى أبو داود فى سننه عن ثوبان رضى الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأَكَلة إلى قصعتها ».

فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟

قال: « بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن ».

فقال قائل: يا رسول الله ، وما الوهن؟

قال: « حبُّ الدنيا وكراهية الموت » [2].

الضعف الذى أصاب الأمة، والهوان الذى عمَّها غير خافٍ على أحد، حتى أصبحت أمَّة الإسلام فريسة سهلة لخصومها وأعدائها، ويتعرض التيار الإسلامى المعاصر لفِتَن جِسام، وحملات قاسية؛ لصرفه عن جادة الطريق.

والذى يزيد من ضراوة هذه الحملات أن الذين يريدون به كيدًا يمكلون ما لا يملك، يملكون وسائل إدانته فى وسائل الإعلام المختلفة، والتيار أعزل من هذه الأدوات، ورغم الفارق الكبير فى الإمكانات فإن الداء المعضل، والمرض المهلك يَكْمن داخل جسد التيار الإسلامى نفسه؛ فتعدد الزعامات، واللَّافتات، والجماعات داخل التيار الإسلامى يضعف التيار الإسلامى نفسه، وليس التعدد فحسب؛ بل الخلافات الحادة، وتبادل الاتهامات، وتصاعد الأمر لدرجة السَّبِّ والقَدْح بين الجماعات فى ساحة الدعوة إلى الله عز وجل.

وهذا يجعل البعض يظن أن الاختلاف بين الجماعات اختلاف تضاد، وليس اختلاف تنوّع، ويبرز أمام الناس فى الساحة . فى ظل هذا الغموض . استفهام يفرض نفسه: أىُّ الجماعات على حق؟!

يضاف إلى ذلك قلة القدوة التى تحمل القلوب على محبة الله ورسوله، والفهم الصحيح لدين الله عز وجل، هذه القلعة فى وجود القدوة أورثت الناس . خاصة الشباب منهم . حيرة مردية، وأوقعت الناس فى تناقض عجيب، وصراعٍ فكرى عنيف بين ما يقال من مثاليات، وما يعيش فيه المجتمع من واقع مؤلم ومرير، هذا التناقض الذى ذمَّه الله تعالى فى القرآن؛ حيث قال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) [3]

---

(1) الأنفال: ٤٦.

(2) أخرجه أبو داود، وأحمد، وذكره الشيخ الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة.

(3) الصف: ٢، ٣.

ولقد ألصق أعداء الإسلام بالتيار الإسلامى تُهمًا تترى؛ مثل: الإرهاب، والتشدد، والتطرف، وغير خافٍ أن اليهود من وراء هذه التهم [1]، وراح خصوم الإسلام يجتهدون فى إشاعة هذه التهم، وكم اجتهد الإعلام فى نشرها؛ مما أسهم . وبدرجة عالية . فى انفصام العلاقة بين التيار الإسلامى وعموم المسلمين، وضياعِ الثقة بين كثير من الشباب المسلم وغالبِ أجهزة الدعوة؛ لاعتقاد الشباب المسلم أن هذه الأجهزة لم تعد تعبر عن كلمة الشرع خالصة لوجه الله عز وجل.

ولا ينكر أحد أن أى عمل بشرى يعتريه النقص والخطأ، والكمال لله وحده؛ فمما لاشك فيه أن هناك أخطاءً داخل التيار الإسلامى، لكنها فى الغالب أخطاء فردية، لايصح أن نصل بها إلى حكم العموم، وهذه الأخطاء الفردية راجعة لأحد أمرين:

إما لخطأٍ فى الفهم لدين الله عز وجل، وإما لشخص اندس فى الحركة الإسلامية؛ لتشويه صورتها.

ورغم أن هذه الأخطاء فردية فإن أثرها السيئ خطير على التيار الإسلامى، وهذا واقع مُرّ، وحال مؤلمة، ويزيد من مرارة هذا الواقع أن الهجوم على الإسلام هجوم جماعىٌ منظم، والدفاع عن الإسلام . فى الأعم الأغلب . دفاع فردى مُرْتَجَل؛ لذا فالتيار الإسلامى بحاجة ماسَّةٍ لأَنْ يقف مع نفسه وقفة تَعقُّلٍ وتدبُّرٍ، يعيد فيها حساباته، ويراجع فيها نفسه، ويصحح خطواته؛ كى لا يُعطِّل نفسه بنفسه.

* * *

(1) راجع: الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، د. يوسف القرضاوى.

أمَّـــة واحدة

من أخطر ما أصيبت به الأمة فى الظروف الراهنة التنازع والاختلاف، وهو داء يَقْصِم الظَّهر، ويوهن القوة، ويبدد طاقة الأمة: (وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ) [1].

الكل يريد أن يطبق الشريعة الإسلامية، ونسى أكثر الجماعات الدرس الأول فيها، وهو التشاور فى الأمر؛ لتكون الكلمة واحدة.

(وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [2]

لكن المؤسف أن يصل الاختلاف إلى حد العراك، وما أفدح أن يعالج الشر بالشر! وما أفدح أن تطفأ النار بالنار!

إن كانت كل جماعة تجتهد فى نصب نفسها وتخطئة غيرها، وإن كانت كل جماعة تزعم أن الحق معها وحدها، وأن الباطل مع غيرها، وإن كان كلٌّ منا يريد أن يهدم الآخر، ونضيع الجهد والوقت فى هدم أنفسنا، فمن الذى يَبْنِى؟

إن كانت معظم جهودنا ردود أفعال، فمن الذى يُبيَّن للناس الإسلام الصحيح حتى يمكَّن الاسلامُ على أرضه؟ ومن الذى يدفع كيد المستشرقين؟ ومن الذى يبلِّغ دعوة الله خارج بلاد المسلمين لهؤلاء الحيارى الذين يلتمسون الضوء فى ظلماتٍ بعضها فوق بعض؟!

هؤلاء لو أن دعوة الإسلام بَلَغَتْهم فى خطاب يفهمونه لكان لهم من الإسلام موقف آخر، ولأصبحوا جنودًا مخلصين، ينتفع بهم دين الله عز وجل. إن الإسلام ليس مِلْكًا لنا، وإنما هو أمانة الله فى أعناقنا، وواجب علينا أن نؤدى الأمانة، فربما تصل إلى من هو أقدر على حفظها؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم: « ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه » [3].

لقد انتقل الإسلام وانتشر فى أفريقيا وآسيا على أيدى التجَّار المسلمين؛ لصدقهم، وأمانتهم، وإخلاصهم بأكثر مما انتشر على أيدى الدعاة المكلَّفين.

نعم إن الاحتساب غير الاحتراف.

وفى عالم أصبح التخصص فيه ضروريًّا، فلابد من التوفيق بين كون الدعوة غاية يجب التجرد لها، والتضحية فى سبيلها، وبين كونها مصدرًا ضروريًّا لرزق من تُناط بهم وظائف الدعوة.

لقد اجتهد أعداء الإسلام فى جعل التعليم الدينى قاصرًا على التَّلْقين مع إهمال ـ شبه كامل ـ للجانب التربوى، والذى هو الوجه المكمِّل للوجه النظرى؛ فالمعرفة وحدها لا تكون داعية، ولقد حذر الرسول عليه الصلاة والسلام من أن تصبح الدعوة كلامًا أجوفَ، لايتمثله صاحبه؛ فقال صلى الله عليه وسلم:

---

(1) الأنفال: ٤٦.

(2) آل عمران: ١٥٩.

(3) رواه أبو داود، والترمذى، وابن ماجه، وأحمد.

« إن أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان »[1].

ولا عجب أن نرى إسرائيل ـ التى تجتهد فى الفتك بالمسلمين ـ لا تجد غضاضة فى إذاعة آيات القرآن الكريم عبر إذاعتها الموجهة إلى العالم العربى الإسلامى، فليكن القرآن طقوسًا للعادات عند المسلمين، تُفتتح به الحفلات، ويُقرأ فى المآتم، فلتكن فيه الدراسات النظرية تملأ الجامعات، لكن أن يصبح القرآن منهج حياة، وأن تصبح حركة المسلمين تتحرك فى ضوء القرآن، لا فى ضوء عادات أهل الكفر والشرك، فهذا ما يجتهد أعداء الإسلام فى منعه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

فإذا ما وعى المسلم هذه المهام الجسام، التى هى أمانة فى عنقه، أترى هل بقى لديه فسحة من الوقت، أو فائض من الجهد لبذله فى الاختلاف؟!

والحمد لله أن حفظ لنا القرآن، وضمن ذلك، قال تعالى:

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [2].

وسنة النبى الأمين محمد صلى الله عليه وسلم قيَّض الله لها رجالًا دقَّقوا ومحَّصوا، فخرجت بحمد الله على هذه الدرجة من الصحة والحسن.

واختلاف أئمة المسلمين اختلاف بأدب، وفى الفروع وليس فى الأصول، لقد كان الاختلاف عند السلف عامل صحة، وليس عامل هدم، لأن كلًا منهم كان ينشد الصواب و الأفضل، حتى ولو ظهر على يد غيره، وكانت آراء الأئمة ثمرات متعددة لشجرة واحدة، هى شجرة الكتاب والسنة.

وليعلم أحبة الإيمان أن نشأة الاختلاف فى الأحكام الفقهية تعود إلى نشأة الاجتهاد الذى ظهر بوضوح بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم، وانقطاع الوحى، وتوُّزع الصحابة رضوان الله عليهم فى الأمصار، ويرجع الاختلاف فى الأحكام الشرعية إلى أصلين مهمين، هما:

الأول : احتمال النصوص الشرعية لأكثر من معنى واحد.

الثانى: اختلاف المدارك والأفهام؛ فمشارب الناس مختلفة، وعقولهم متفاوتة. خذ مثلًا قول الله تعالى فى سورة البقرة:

(وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ) [3]، وقابِلْه مع قوله تعالى فى السورة نفسها، قبل هذه الآية بآية واحدة:

(لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ) [4].

فى الآية الأولى: ثلاثة قروء.

---

(1) رواه أحمد فى مسنده عن عمر بن الخطاب.

ورواه ابن عدى فى الكامل عن ابن عمر، والبيهقى فى شعب الإيمان عن عمران بن حصين بنص: « إن أخوف ما أخاف عليكم بعدى كل منافق عليم اللسان ».

(2) الحجر: ٩.

(3) البقرة: ٢٢٨.

(4) البقرة: ٢٢٦.

وفى الآية الأخرى: أربعة أشهر.

وبمقارنة هذا مع قوله سبحانه وتعالى فى الأولى:

(قُرُوَءٍ) ، وفى الأخرى: (أَشْهُرٍ) .

نجد أن اللفظة الأولى « قُرُوَءٍ » تحتمل أكثر من معنى واحد فى الوضع اللغوى؛ فمن العرب من يسمى الحيض قُرْءًا، وهو مذهب أهل الحجاز، ومنهم من يسمى الطُّهْر قُرْءًا، وهو مذهب أهل العراق، ومنهم مَن يجمعهما جميعًا، فيسمى الطهر مع الحيض قرءًا [1].

لذا تتعدد الآراء فى فهم هذه الآية الكريمة « ثلاثة قروء »؛ فمنهم من يُلْزم المطلقة الحائض بثلاث حَيْضات، ومنهم من يلزمها بثلاث أطهار، ومنهم من يُخيِّرها بين هذا وذاك، وتَتَّحد الآراء فى فهم قوله تعالى: (أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ).

ولِتَعدُّدِ الآراء فى الآيات التى تحتمل ألفاظها أكثر من معنى . والتى تسمى بالأدلة الظنية . حِكَمُ بِلِيغة . ولقد أشار العلماء المحققون إلى هذه الحِكَم فى مجالات مختلفة؛ من ذلك قول الإمام الزركشى، رحمه الله:

« اعلم أن الله لم يُنَصِّبْ على جميع الأحكام الشرعية أدلة قاطعة، بل جعلها ظنية قصدًا للتوسيع على المكلَّفين؛ لئلا ينحصروا فى مذهب واحد لقيام الدليل القاطع عليه »[2].

ومن الأمثلة العملية التى تؤكد عودة نشأة الاختلاف فى الأحكام الفقهية إلى عصر الصحابة رضوان الله عليهم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم: اختلافهم فى زمنه صلى الله عليه وسلم فى حكم الصلاة فى الطريق إلى بنى قريظة؛ فقد روى البخارى عن ابن عمر . رضى الله عنهما . أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب:

« لا يُصلِّينَّ أحد العصر إلا فى بنى قريظة »[3].

فأدرك بعضهم العصر فى الطريق، فقال بعضهم: لا نصلى حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلى، لم يرد منا ذلك، فذُكِر ذلك النبى صلى الله عليه وسلم، فلم يُعِّنف واحدًا منهم ».

فلقد أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافهم فى فهم النص الواحد الذى سمعه الجميع منه، وهم أصحابه المخالطون له صباح مساء، ومن النماذج الواضحة لما اختلف فيه الصحابة . وهو قليل بالنسبة لما اتفقوا فيه . أن أبا بكر رضى الله عنه كان يسوِّى بين المسلمين فيما يأخذون من بيت المال، لا يفرق بين من سبق إلى الإسلام وغيره، وكان يقول: إنما أسلموا وأُجُورهم على الله، وإنما الدنيا بلاغ، وخير البلاغ أوسعه، فكان رضى الله عنه يعطيهم ما به يحفظون مصالحهم،الكل فى ذلك سواء.

ولما آلت الخلافة إلى عمر رضى الله عنه فاضل بينهم؛ مراعيًا سَبْق الإسلام، وما قدَّموه من خدمات لهذا الدين، وقال: لا أجعل من ترك داره وماله وهاجر إلى الله ورسوله كمن أسلم كرهًا؛ فأبو بكر يريد العدل، وعمر يريد العدل، ويختلف رأيهما فيما يحقق هذه العدالة، فيجيء الاختلاف فى الحُكْم تبعًا لاختلافهم فى الرأى.

---

(1) الأضداد،لابن الأنبارى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(2) تسهيل الوصول، للمحلاوى، ص ٢٤٠.

(3) رواه البخارى ومسلم.

ولقد علَّم القرآن المسلمين أن يجتهدوا، وأن يستنبطوا، وأن يسترشدوا بعلمائهم العاملين، يقول الله سبحانه فى محكم آياته:

(وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ) [1]

فهذه دعوة صريحة إلى الاستنباط والاجتهاد، وللمجتهد المصيب أجران، وللمخطئ أجر واحد؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم:

« إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » [2]

ولما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يبعث معاذًا إلى اليمين قال:

« كيف تقضى إذا عرض لك قضاء »؟

قال: أقضى بكتاب الله، قال: « فإن لم تجد فى كتاب الله »؟

قال: فَبِسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: « فإن لم تجد فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا فى كتاب الله »، فقال: أجتهد رأيى ولا آلو، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره، وقال:

« الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله »[3].

والله سبحانه وتعالى يقول:

(وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) [4].

والاجتهاد ضرورة فيما لم يرو فيه نص قطعى، والأحكام الشرعية التى وردت نصوصها فى الكتاب والسنة معدودة، وقد ذكر العلماء أن عدد الآيات التى هى أصول الأحكام فى القرآن لا تزيد عن خمسمائة آية، وعدد الأحاديث التى هى أصول الأحكام خمسمائة حديث[5].

لذا كان لابد من الاجتهاد، يقول الشاطبى:

« إن الوقائع فى الوجود لاتنحصر، فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة، ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلابد من حدوث وقائع لايكون منصوصًا على حكمها ولا يوجد للأوَّلين فيها اجتهاد » [6].

لكن مَن الذى يجتهد، أو يرد رأيًا، أو يدفع ردًّا؟

لقد وضع الأصوليون شروطًا لذلك، ليس هذا مجال بسطها[7].

---

(1) النساء: ٨٣.

(2) حديث متواتر، أخرجه أحمد والشيخان، وأصحاب السنن إلا الترمذى.

(3) رواه أبو داود فى كتاب: الأقضية، والترمذى ، والنسائى، وابن ماجه، والدارمى، وأحمد فى مسنده.

(4) الأحزاب: ٥.

(١) انظر: الإحكام فى أصول الأحكام، لابن حزم، والإكليل، للسيوطى، ومغنى المحتاج، للخطيب، وأعلام الموقعين، لابن القيم.

(6) الموافقات، للشاطبى.

(7) انظر: الرسالة، للإمام الشافعى، والمستصفى، للغزالى، والموافقات للشاطبى.

فلابد لأحبة الإيمان أن يدركوا أنه لا يجوز الخوض فى الأحكام الشرعية قبل التزوُّد بالأدوات التى تؤهل لذلك؛ كإتقان اللغة العربية، ومعرفة علوم الكتاب، والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد..

وما إلى ذلك من أدواتٍ تؤهل الإنسان للفتوى، ولقد حذَّر النبى صلى الله عليه وسلم من القول فى القرآن الكريم بغير علم، فقال:

« من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » [1].

قال صلى الله عليه وسلم:

« من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض »[2].

* * *

ولا يخفى على عاقل ضرر فتوى الجاهلين، وكما لا يأمن الإنسان على ولده إذا مرض إلا الطبيب الفاهم المتخصص، فإنه ينبغى عليه أن لا يأمن على أمر دينه إلا العالم الفاهم المتخصص، أو الذى أجازه أهل الذِّكْر، وحسبنا هذه الحادثة التى وقعت فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، والتى تبين لنا إلى أى حد يكون الأثر السيئ للفتوى حين تكون على غير علم.

ففى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، أصيب أحد الصحابة بجرح، وكان عليه جنابة، ولابد أن يغتسل ويتطهر، فأفتاه بعض من معه بأن ينزل الماء ويغتسل مع هذه الجراحة. فكانت النتيجة أن الرجل مات من آثار ذلك، فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم خبر هذه الحادثة قال فى شأن هؤلاء الذين أفتوه: « قتلوه قتلهم الله! ألا سألوا إذا لم يعلموا؟ فإنما شفاء العِىّ السؤال. إنما كان يكفيه أن يتيمَّم »[3].

لابد لأحبة الإيمان أن يدركوا أن وَحْدة المسلمين من أهم الفرائض، وأفضل القربات إلى الله عز وجل، وليس من العقل أن ينتظر المسلم من إخوانه . على اختلاف مشاربهم وعقولهم وظروفهم . تحقيق الصورة المثلى للإسلام، كيف ذلك وقد شرع الله للناس تأدية العبادات فى كثير من الأمور على درجات من التنوع بين الأفضلية والاختيار والجواز، وكلها درجات يُرْجى لها القبول عند الله تعالى لكنها تتفاوت فى المراتب ؟!

لابد لأحبة الإيمان أن يدركوا أخطاء التبشير، وأخطاء الماركسية، وأخطاء الصهيونية، والتحديات الخطيرة، والخطط الماكرة التى اصطلحت كلها على النَّيْل من الإسلام فى شتى البقاع والبلاد.

إن أعظم الأعمال فى هذه الظروف، وأعز مطلب فى تلك المرحلة ألا يكون المسلمون شيعًا وأحزابًا، يضرب بعضهم أعناق بعض، إن تأليف القلوب وتوحُّد الأهداف غاية نبيلة، ومقصد جليل دعا الله إليه بقوله:

(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)[4]

---

(1) رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنه.

(2) رواه ابن عساكر عن على، وقال السيوطى: حديث صحيح، الجامع الصغير، ج ٢.

(3) رواه أبو داود عن جابر، والحاكم عن ابن عباس، وذكره الألبانى فى صحيح الجامع الصغير.

(4) الانبياء: ٩٢.

لابد لأحبة الإيمان أن يدركوا أن هناك من يستفزهم ويدفعهم للانفعال، وعند الانفعال يكون الخطأ، وسيجد أعداء الإسلام وخصومه ساعتَها دليلًا وألْفَ دليلٍ حجةً لتُهَمِهِم، وهذه طامة كبرى.. عندما يكون الباطل أذكى.

وعندما يصاب أهل الحق بالجهل، سوف يضيع الحق، لا بجهد الأعداء فحسب، ولكن . وبدرجة كبيرة . نتيجة الجهل والحماقة.. وعلى نفسها جَنَت براقش.

وصدق قول الشاعر:

لا يبلغ الأعـداء من جاهلٍ

ما يبلغ الجاهـل من نفسه

ماذا يفيد كَيل السِّبابِ والشتائم لأناس تحت التراب؟

ماذا يفيد تتبع العثرات للعلماء؟ ومَنْ مِن الناس قاطبةً . سوى من عصمهم الله . أصاب فلم يخطئ، ومضى فلم يتعثَّر،

ومن ذا الذى تُرْضَى سجاياه كُلُّهـا

كفى المرءَ نُبْلًا أن تُعَدَّ معايبه

هل من العقل أن ينصَّب الإنسان من نفسه قاضيًا على مجتمعه، يصنَّف الناس ويصدر أحكامه عليهم، وغالب هذه الأحكام قائم على الشائعات والتخمينات، وأَمْر الهوى والعاطفة، وليس على التبُّين والتدقيق والتمحيص؟ لقد وصل الأمر إلى تصنيف العلماء إلى: علماء قطاع عام، وعلماء قطاع خاص، أَمَا كان الأَوْلى أن يجتهد الإنسان ويدعو أخاه . برفق ولين . إلى صفوف أهل الإيمان؟ فإن تأبَّى عليه، دعا له بظهر الغيب أن يمن الله عليه بالهداية؟! إن المسلم طبيب فى مجتمعه وليس قاضيًا، المسلم يداوى ويعالج، ولا يُقاضِى ويحاكِم، إن الغالب من المسلمين يعلم حدود الحلال والحرام، لكن القضية فى حَمْل النَّفْس على الحلال، وإبعادها عما حرم الله، إن الجهد الحقيقى يتجلَّى فى معونة الأخ المسلم فى التغلب على نفسه، والالتزام بأمر الله عز وجل.

نعم إن الجهد الحقيقى يتمثل فى الإضافات التى تحدثها فى مجال بناء الرجال، الرجال الذين حدد الله لهم صفات، وميزهم بمَيْزات فى القرآن:

(رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ) [1].

(رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) [2] .

رجالُ كتابُ الله منهجُهم، ورسول الله قدوتُهم، ساعة أن نبنى الرجال . الرجال صانعى النهار . سيُطَبَّقُ الشَّرْعُ، وتُحرَّر القُدْس، وتعود للإسلام عِزَّته، وترتفع رايتُه.

---

(1) النور: ٣٧.

(2) الأحزاب: ٢٣.

وليعلم أحبة الإيمان أن طريق البناء شاق، يحتاج إلى الرجال الصابرين الصادقين، أما من يتعجل النتائج، ويريد أن يضع البذرة ويجنى ثمارها بين عشية وضحاها، فقد طلب المستحيل، وخالف سنة الله فى كونه، ومُكلِّفِ الأمور ضد طباعها لا شك يتعب، وهل ننتظر من العجلة إلا الندامة؟ كيف لا وقد قال النبى محمد صلى الله عليه وسلم:

« فإن المنْبَتَّ لا أرضًا قطع، ولا ظَهْرًا أَبْقَى »[1].

وهل ننتظر من الاجتهاد والمثابرة إلا النجاح والفلاح؟

كيف لا والله تبارك وتعالى يقول:

(إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) [2].

وهل ننتظر من التنازع إلا الفشل؟!

كيف لا والله تبارك وتعالى يقول:

(وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ) [3].

* * *

(1) رواه البزار عن جابر: « إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، فإن المنبت لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى »، ويقال للمتسرع الذى أتعب دابته حتى تموت من الضرب، فلا هو وصل إلى المكان المراد وقطع مسافة سفره، ولا هو أبقى على الدابة سليمة.

(2) الكهف: ٣٠.

(3) الأنفال: ٤٦.

وَاصِـل تَصِـل

يغيب عن بعض الشباب المسلم قاعدة أرساها النبى صلى الله عليه وسلم، وهى الاستمرار والمواصلة فى العمل؛ فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم:

« أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل »[1].

بيد أنك تجد فى الأعم الأغلب هِمَّةً تُحَرِّك الصخور والجبال فى بداية العمل، وانفعالًا وعاطفة وما هى إلا أيام أو شهور . على الأكثر . وتَخُور الهمة، وتضعف العزيمة، وقد ينقطع العمل بالمرة، وهذه الهبات العاطفية لا تبنى شخصية، ولا يرتفع بها بناء، أو أن يتكلم الأخ بما يحب أن يقدم بأمانيه، ويظنها السامع وعودًا صادقة ثم لا يستطيع أن يَفِى بشيء من ذلك، فيظهر فى ثوب الكاذب المنافق، والكلمة عند المؤمن لها شرفها وقيمتها، لا تخرج منه إلا بعد التمحيص والتأكد من القدرة على الالتزام بها؛ لذلك أوصى المبعوث الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن نأخذ من الأعمال ما كان فى طاقتنا، ولا نأخذ منها ما يشق علينا؛ حتى يستمر العمل، ولا تنفد طاقة الإنسان، يقول النبى صلى الله عليه وسلم:

«خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يَملّ حتى تملُّوا »[2].

لقد مكث النبى صلى الله ليه وسلم إحدى عشرة سنة وهو يواصل جهاده بصبر، وكم تجشَّم النبى صلى الله عليه وسلم من متاعب، فما لانت قوته، ولا هدأت عزيمته، وكم لاقى النبى صلى الله عليه وسلم التهديدات من قريش التى كانت تتربص به؛ لقتله والخلاص منه، وهو صلى الله عليه وسلم صابر محتسب، قائم بأداء النصيحة إلى قومه، ولم تصمد المحن أمام صبر النبى صلى الله عليه وسلم ومواصلته الجهادَ فى سبيل الدعوة، وكان أمامه فى الأفق الأملُ العريض، فى أن يهديهم الله تعالى: « اللهم اهدِ قومى فإنهم لا يعلمون ». فهل لنا فى المبعوث الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة؟!

ونرى غير المسلمين قد فاقوا المسلمين فى العمل المتواصل المثمر، وما ذلك إلا لأنهم خطَّطوا لما أزمعوا القيام به، فأجادوا التخطيط، ودرسوا العمل فأحسنوا الدراسة، وبحثوا فى التنفيذ فاختاروا له أحسن الوسائل، واستمروا بالجهد الجماعى فى التنفيذ، فكان جهدهم مثمرًا، وعملهم واضحًا، فهل لنا فى ذلك من عبرة، وهل نتخذ من هذه دروسًا؟!

فيا مَن فى قلبه أقل قدر من غيرة على الإسلام..

قم، وادرس، وابحث، واستعن بمن يحسن ذلك، فالحكمة ليست بنت أحد، بل هى ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها، واعلم أن المواصلة والاستمرار هما أحسن الوسائل لنجاح العمل وفلاحه، وليكن شعار الجميع الحكمة القائلة: « واصل تصل ».

---

(1) رواه البخارى ومسلم عن السيدة عائشة، رضى الله عنها.

(2) رواه البخارى ومسلم عن السيدة عائشة، رضى الله عنها.

فَرْدِيَّة وعَفْوِيَّة

الاجتهادات فى ساحة العمل الإسلامى تتم بفردية وعفوية، مع أن القيادة مهمة للتوجيه والإرشاد، وضبط زمام الأمور، ولا يصلح للقيادة صاحب خطب رنانة أو كلام بليغ فحسب؛ بل لابد فى المقام الأول من عقل ناضج وفكر ثاقب، وعلم وإيمان، وإحاطة بالواقع حتى يتسنَّى له أن يحاور ويناور، ويحمى المسيرة مما يتهددها من داخل الصفوف وخارجها ، ولابد من طاعة القائد ، ولقد أعطى الله المسلمين درسًا مفيدًا فى غزوة أُحُد، لما تبدَّت للرماة الغنائم، ورأوا أن يجمعوها دون مشورة قائدهم النبى صلى الله عليه وسلم،فتحوَّل النصر إلى هزيمة؛ لذلك حضَّ القرآن الكريم على ذلك، فقال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) [1].

ويقول المبعوث الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

« اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زَبِيبة » [2].

ويجب أن ندرك أنه مع العفوية يضيع الالتزام، فمن المؤسف المحزن أن تجد بين الإخوة من يقول لك: « فلان أخ »، وما دام فلان أخًا فليس بمهم أن يلتزم معه، أو يحفظ له أمانة، تساهلُ فى الحقوق، وتفريط فى الواجبات، مع أن حقوق الإخوة أولى بالرعاية، أو تجد زوجًا يهمل مع امرأته؛ لأنها أخت، مع أن الأخت أولى بالإكرام من غيرها.

يجب أن نتنبه يا أحبة الإيمان لكل خطوة نخطوها، أهى فى صالح الهدف، أم هى ناتجة عن انفعال اللحظة، وعَفْو الخاطر؟

---

(1) النساء: ٥٩.

(2) رواه أحمد فى مسنده، والبخارى، وابن ماجه عن أنس رضى الله عنه.

الدعوة بين المضمون والأسلوب

مضمون ثابت لايتغير:

الدعوة إلى الله تعالى مضمونها ثابت لا يتغير، وحقائق الدعوة لا اختلاف عليها؛ وذلك لسبب واضح، وهو أننا لسنا الواضعين لها، أو المختارين لها؛ بل هى من تنزيل رب العالمين، واختيار مالك يوم الدين.

ونصوص القرآن والسنة حددت هذا المضمون، وبيَّنت معالمه، ومطلوب من الداعية ألا يتهاون، وألايفرط فى هذا المضمون مهما كانت الدواعى والأسباب.

ولنا فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خير قدوة وأفضل أسوة، فلقد كان صلى الله عليه وسلم ثابتًا على مضمون الدعوة لايفرط فيه أبدًا، وكم تعرض النبى صلى الله عليه وسلم لمساومات على هذا المضمون من أهل الشرك والكفر، أعداء الدعوة، لقد أرادوا أن يُميَّعوا الحق فلم يقبل النبى صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى فى القرآن الكريم:

(وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) [1].

لقد أرادوا أن يضيعوا المضمون، فعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم الالتقاء فى منتصف الطريق؛ فقالوا له: نعبد إلهك يومًا وتعبد آلهتنا يومًا!!

فجاء الحسم من الله تعالى فى عدم المساومة على الحق، وأنزل الله تعالى قوله:

(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)) [2] [3].

وغير ذلك كثير من المحاولات الرخيصة التى أقدم عليها الكافرون حتى يميِّعوا الحق ويضيعوه، لكن كان ثبات النبى صلى الله عليه وسلم على الحق وحرصه على مضمون الدعوة عظيمًا.

ولقد توعَّد الله تعالى كل من يعتدى على الدعوة؛ لينال رضاء الناس والقبول لديهم، فقال:

(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ) [4]

أسلوب حكيم:

---

(1) القلم: ٩.

(2) الكافرون .

(3) أسباب النزول، للسيوطى.

(4) البقرة: ٧٩.

أسلوب الدعوة هو الطريقة أو الكيفية التى نقدم بها مضمون الدعوة للناس، وتشمل الآداب التى يجب على الداعية أن يراعيها؛ من تخيُّر الأسلوب اللائق واصطفاء الحجة القوية، وطريقة الاتصال بالمدعِّوين، وحسن التعامل معهم، واللجوء إلى الترغيب حيث يفيد، واستخدام الترهيب حيث يجدى.

وعلى الداعية أن يتخير أفضل الأساليب وأجودها؛ ليقدم للناس مضمون الدعوة إلى الله تعالى. على الداعية أن يطور الأسلوب فى إطار قول الله تعالى:

(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[1].

وهذا هو نهج النبى محمد صلى الله عليه وسلم، والذى يتأمل سيرته العطرة يظهر له بوضوح لطف أسلوبه صلى الله عليه وسلم، وحكمته، ولِينه، ورفقه، وحلمه، وصبره فى الدعوة إلى الله عز وجل.. إن الكلمات لتعجز فى هذا المقام عن وصف حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحسن أسلوبه فى الدعوة إلى الله عز وجل.

وحسبنا أن نقول: إن من أراد أن يعلم الحكمة والموعظة الحسنة التى أمر الله بها فلينظر إلى أسلوب دعوة النبى صلى الله عليه وسلم؛ فأسلوبه هو الحكمة بعينها، وهو الموعظة الحسنة نفسها.

وخلاصة القول أنه على الداعية أن يفرِّق بين الأسلوب والمضمون، فيطوِّر فى الأسلوب، ويجدد، ويجتهد، أما المضمون فإنه ملتزم به، وقَّاف عند النصوص؛ فالدين بالنقل وليس بالعقل.

والمسلم الحريص على الدعوة إلى الله تعالى، الغيور على دين الله عز وجل جدير به أن يهتدى بهَدْى القرآن، وهَدْى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطريقة الصحابة والعلماء فى أسلوب دعوته لله عز وجل.

---

(1) النحل: ١٢٥.

أدب الدعوة وخُلُق النصيحة

عن تميم الدَّارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

« الدين النصيحة » قلنا: لمن؟ قال:

« لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » [1].

ولقد بيَّن النووى فى شرحه لصحيح مسلم أن النصيحة لله معناها منصرف إلى الإيمان بالله تعالى، ونَفْى الشريك عنه، والقيام بطاعة الله تعالى، واجتناب معصيته.

وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى، فالإيمان بأن القرآن منزل من عند الله تعالى، ثم تعظيم القرآن وتلاوته، والوقوف عند أحكامه، وتفهُّم علومه، والاعتبار بمواعظه، والعمل بحكمه، والتسليم بمتشابهه.

وأما النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتصديقه على الرسالة، والإيمان بما جاء به، وطاعته ونصرته، وإعظام حقه، وتوقيره، وإحياء سنته، والاقتداء به صلى الله عليه وسلم.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأَمْرهم به، وتنبيههم بلطف ورفق، وترك الخروج عليهم.

وأما النصيحة لعامة المسلمين، فإرشادهم لمصالح دنياهم وأخراهم، وكَفُّ الأذى عنهم، وستر عوراتهم، وسد خَلاَّتِهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأَمْرهم بالمعروف، ونَهْيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتَخَوُّلهُم بالموعظة الحسنة.

هذا ما تيسر . فى هذا المقام . من كلام النووى رحمه الله تعالى [2]، وهو كلام يفيد . فى جملته . أن تُقدَّم النصيحة فى أدب ومحبة، وعطف ورحمة.

ولكن بعض شبابنا الموعود المنتظر تغيب عنه . فى حماسِه لدينه . سُننُ جَّلاها، وأكد عليها المبعوث الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حبيب الشباب وناصحه، هذه السنن يحفظونها جيدًا، لكنها تغيب عنهم فى المجال العملى؛ من ذلك:

أن بعضهم لا يُنزل الناس منازلهم، مع أن الحبيب محمدًا صلى الله عليه وسلم قال:

« أنزلوا الناس منازلهم » [3].

فالكبير كبير، وله علينا التوقير والاحترام، والصغير صغير، وله عندنا كل رحمة وحنان؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم:

---

(1) رواه مسلم.

(2) راجع: صحيح مسلم بشرح النووى، (١ / ٤٣٢، ٤٣٣).

(3) رواه مسلم، وأبو داود عن السيدة عائشة، رضى الله عنها.

« ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا »[1].

والتلميذ تلميذ، والأستاذ أستاذ، لقد كان الإمام مسلم ـ صاحب الصحيح ـ كلما دخل على الإمام البخارى يقول له:

« دعنى حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث فى عِلله »[2].

والنصح واجب لكن بأدب، وإلا كان توبيخًا وفضيحة، وما أجمل قول الإمام الشافعى:

تعهدنى النصيحة فى انفراد

وجَنِّبْنى النصيحة فى الجماعةْ

فإن النصح بين الناس نوع

من التوبيخ لا أرضى استماعهْ

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول:

« من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف » [3].

ومنهج الإصلاح فى الإسلام لايختلف عليه اثنان، وآية:

(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [4]

على كل لسان، ولشهيد الإسلام ـ فى الظلال ـ كلام طيب مفيد فى هذا المقام، قال رحمه الله [5]:

«إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله، لا لشخص الداعى ولا لقومه، فليس للداعى من دعوته إلا أنه يؤدى واجبه لله تعالى، لا فضل له يتحدث به، لا على الدعوة، ولا على من يهتدون به، وأجره بعد ذلك على الله تعالى.

والدعوة بالحكمة، والنظر فى أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذى يُبيِّنه لهم فى كل مرة حتى لا يثقل عليهم، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التى يخاطبهم بها، والتنويع فى هذه الطريقة حسب مقتضياتها، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة فى هذا كله وفى سواه.

وبالموعظة الحسنة التى تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب فى غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التى قد تقع عن جهل أو حسن نية، فإن الرفق فى الموعظة كثيرًا ما يهدى القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتى بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ.

وبالجدل بالتى هى أحسن، بلا تحامل على المخالف، ولا ترذيل له وتقبيح، حتى يطمئن إلى الداعى، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة فى الجدل، ولكِنْ الإقناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهى لا تنزل

---

(1) رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه.

(2) مقدمة فتح البارى شرح صحيح البخارى، ابن مجر العسقلانى، ص ٥١٣.

(3) رواه البيهقى.

(4) النحل: ١٢٥.

(5) انظر: فى ظلال القرآن، لشهيد الإسلام / سيد قطب عند تفسير هذه الآية.

عن الرأى الذى تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأى وقيمتها هى عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأى تنازلًا عن هيبتها واحترامها وكيانها، والجدل بالحسنى هو الذى يطامن من هذه الكبرياء، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعى لا يقصد إلا كشف الحقيقة فى ذاتها، والاهتداء إليها، فى سبيل الله، لا فى سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأى الآخر! ولكى يطامن الداعية من حماسته واندفاعه يشير النص القرآنى إلى أن الله هو الأعلم بمن ضل عن سبيله، وهو الأعلم بالمهتدين، فلا ضرورة للجاجة فى الجدل، إنما هو البيان، والأمر بعد ذلك لله عز وجل.

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وحديث مظلوم

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حصار وتضييق على المعصية؛ كى تزول وتذهب من المجتمع، ومحاولة دائمة لتطهير المجتمع من العناصر الفاسدة التى تعطل مسيرة الخير وموكب الطاعة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فى الوقت نفسه . سياج واقٍ للفضيلة وأهلها؛ كى لا يطغى عليها الباطل وأهله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مهمة سامية، لا ينال شرفها إلا أصحاب الهمم العالية.

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [1].

والدعوة إلى الله تعالى هى وظيفة الأنبياء والمرسلين، وقد ختمت الرسالات برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يُورِّث دينارًا ولا دِرهمًا وإنما وَرَّث العلماء هذه التركة الغالية، والأمانة العظيمة؛ فالعلماء ورثة الأنبياء، وعلى العلماء واجب التبليغ؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم:

« بلِّغوا عنى ولو آية » [2].

وقوله صلى الله عليه وسلم:

« نَضَّر الله امرأ سمع منا حديثًا فبلغه كما سمعه، فَرُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع »[3].

فنَشْر الدعوة واجب على كل مسلم، لكن بالقدر الذى يحسنه ويطيقه، والحد الأدنى من العلم عند أى مسلم، هو القدر الذى تصح به عقيدته، وتصلح به عبادته، وهذا القدر فرضُ عينٍ على كل مسلم ومسلمة.

وليس بجديد على المسلمين ما شاع فى هذا العصر من التخصص؛ فقد حثَّ القرآن على قيام بعض الأمُّة بالتعلُّم والتفقه فى أمر الدين، حتى يُحْسنوا ذلك ويعلِّموه للناس، قال تعالى:

(فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ) [4].

ولقد أكد القرآن الكريم على أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بصورة واضحة، فقال:

(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [5].

وجعل الله تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أوصاف المؤمنين، فقال:

(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [1].

---

(1) فصلت: ٣٣.

(2) رواه البخارى.

(3) رواه أحمد فى المسند.

(4) التوبة: ١٢٢.

(5) آل عمران: ١٠٤.

وجعل الله تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ميزة لهذه الأمة؛ حيث قال:

(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [٢].

وجعل الله تبارك وتعالى التقاعس عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سببًا لِلَعْنة بنى إسرائيل، قال تعالى:

(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ) [٣].

والسُّنَّة تمدُّنا بكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التى تحث أهل الإيمان على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فى الذُّروة نجد قول النبى صلى الله عليه وسلم:

« من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان » [٤].

ولابد من وقفة عند هذا الحديث؛ حيث حدد النبى صلى الله عليه وسلم أمورًا مهمة فى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وبداية نطرح سؤالا:

–ما المنكر شرعًا الذى يجب إنكاره وتغييره؟

لقد اتفقت كلمة العلماء على أن المنكر الذى يجب إنكاره وتغييره هو المنكر المعلوم بنصٍّ شَرْعىٍّ قَطْعِىٍّ لا يقبل التأويل، وذكر الشيخ محيى الدين النووى أن المختلف فيه لا إنكار فيه، لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق، ثم قال: وهذا هو التحقيق الذى عليه جماهير العلماء من جميع المذاهب [٥].

ولفظة « رأى » الواردة فى الحديث الشريف تفيد دلالتين،هما:

الأولى: أنها تدل على أن الإنكار متعلق بالرؤية؛ فالرؤية أقرب درجات الإدراك لليقين فإن كان المنكَر مستورًا لاينبغى التجسس على فاعله، فكل من أغلق بابه، وستر معصيته فى داره لا يجوز التجسس عليه، وقد أنكر الأئمة؛ مثل: سفيان الثورى وغيره تَسَوُّرَ الجدران، والتجسسَ على من علم اجتماعهم على منكر[٦]، وقال ابن رجب الحنبلى: إن المنصوص عند أحمد فى أكثر الروايات أنه لا يتعرض له، وألا يُفتَّش عنه.

الثانية: أن لفظة « رأى » تفيد أيضًا أن يكون المنكر موجودًا فى الحال، كأن يرى الإنسان من يشرب الخمر علنًا، أو يَجْهر بالغِيبة وغيرها من المعاصى، فأما من فعل المنكر وانتهى عن فعله، فلعلَّه تاب ورجع، فلا يجب الإنكار

---

(1) التوبة: ٧١.

(2) آل عمران: ١١٠.

(3) المائدة: ٧٨، ٧٩.

(4) رواه مسلم والترمذى عن أبى سعيد الخدرى.

(5) راجع: جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلى.

(6) راجع: شرح النووى على مسلم، جامع العلوم والحكم، فى باب: كون النهى عن المنكر من الإيمان ج ٢، شرح حديث من رأى منكم منكرًا.

عليه؛ بل يُشجَّع على الطاعة، ويُرغَّب فى الازدياد من الخير، إلا إذا تحدث مَن فَعَل المنكر مفاخرًا فيجب الإنكار عليه.

وبعد أن وقفنا على شروط المنكر الذى يجب تغييره وإنكاره نطرح سؤالا آخر: ماصفة التغيير، وما مراتبه؟

والقارئ للحديث الشريف ـ برؤية وتدبر ـ سوف يظهر له بوضوح أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يستثن أحدًا من هذا الواجب، واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهذا الواجب ينقسم إلى ثلاثة أقسام بحسب الوسائل المتاحة، النهى عن المنكر باليد؛ أى: تغيير المنكر باليد، وربط ذلك بالاستطاعة، والنهى عن المنكر باللسان، وربط ذلك بالاستطاعة أيضًا، والنهى عن المنكر بالقلب، وهو فرض على جميع الأمة غير مرهون بقدرة؛ إذ الإنكار بالقلب فى مقدور جميع أفراد الأمة.

- ولكن، ما معنى الاستطاعة؟

معناها: القدرة على التغيير، فإن كانت له قدرة التغيير باليد وجب عليه التغيير، بشرط ألا يتسبب فى ضرر أو مفسدة؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم:

« لا ضرر ولا ضرار » [1].

فإن كان الضرر واقعًا عليه فقط يصير الإنكار والتغيير مستحبًّا، وليس واجبًا، ودليله: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » [2].

فإن تعدَّاه الضرر إلى أصدقائه أو أقربائه أو نحو ذلك، فلا يحل له أنَ يزُجَّ بهم فى الضرر، كذلك إن أدى تغيير المنكر إلى منكر أكبر وأشد حرمة منه،أو إلى منكر مماثل فإنه لايحل له الإنكار، لأن فى هذا ضرر ومفسدة.

–وعليه فتغيير المنكر باليد واجب عند توفر القدرة عليه، وبشرط ألا يتسبب فى ضرر أو مفسدة، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ منها:

المدير فى مصنعه قادر على تغيير المنكر باليد، والرجل فى بيته قادر على تغيير المنكر باليد، والحاكم فى بلده قادر على تغيير المنكر باليد، فإن لم تتوفر القدرة، أو تَسَّبب الإنكار فى ضرر أو مفسدة عدل عن هذه الوسيلة إلى وسيلة أخرى وهى اللسان، وهى مرهونة أيضًا بالاستطاعة؛ أى: القدرة العملية، والقدرة على الجهر بالإنكار دون أن يصاب بضرر، أو أن يحدث مفسدة، فإن لم يستطع، ولم تكن له القدرة على تغيير المنكر بلسانه، فليس له أن يجازف ويغالط، وليعدل عن هذه الوسيلة إلى التغيير بالقلب، وذلك لِحِكْمة عالية، وهى أن الهدف هو الإصلاح؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم: «المؤمن مرآة أخيه إذا رأى فيه عيبًا أصلحه » [3].

وهناك أمورٌ تغيير المنكر فيها باليد يختص بوليِّ الأمر؛ لأن قيام الأفراد به يحدث فتنة، ويتسبب فى فوضى واضطراب.

---

(1) رواه ابن ماجه والدارقطنى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري – (١١ / ٣٨٥).

(3) رواه البخارى فى الأدب المفرد.

وهناك أمرٌ تغيير المنكر فيها باللسان يختص بأهل العلم؛ لمعرفتهم بحدود الحلال والحرام، وقدرتهم على البيان والتوضيح والإقناع، وسند ذلك من الشرع واضح، فهو من قبيل إعطاء القوس باريِها، وإسناد الأمر إلى أهله، فقد جاء رجل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم:

متى تقوم الساعة؟

فقال له : « إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة »!

فقال: وكيف إضاعتها؟

قال: « إذا وُسِّد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة »[1].

نعم إن صلاح الأمة فى أن يسند الأمر إلى أهله، إن الرغبة وحدها لا تكفى، ولا تؤهل إنسانًا لسلطة أو لدرجة علمية، لنتأمل سويًّا هذا الحديث الطيِّب عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فعن أبى ذر رضى الله عنه قال: « يارسول الله، ألا تستعملنى، قال: فضرب بيده على منكبى، ثم قال: يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنما يوم القيامة خزى وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذى عليه فيها »[2].

والقرآن الكريم يحدثنا عن سيدنا يوسف عليه السلام أنه، لم يرشِّح نفسه لإدارة شئون المال بنبَّوته وتقواه فحسب؛ بل بحفظه وعِلْمه أيضًا؛ كما جاء فى القرآن الكريم:

(قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)[3].

ثم لا يخفى على عاقل ما عليه المجتمعات الحديثة من نظم متقدمة، ومجتمعات، وتكدُّسات، ووسائل متطورة لم تكن تعرفها المجتمعات القديمة، وتلك الوسائل المتطورة والنظم الحديثة ثمرة من ثمرات التقدم العلمى الهائل، والذى واكبه تطوُّر فى أسلوب المنكر، وتعقد فى وسائل الإجرام، بدرجة لا يقوى على مقاومتها الأفراد، خذ مثلًا التجسس بين الدول، وجرائم القتل، وغيرها من الجرائم، كيف ينجح الفرد فى مقاومتها، والسلطة نفسها تستعين بوسائل كثيرة فى مقاومتها؛ مثل: الطب الشرعى؛ لتحديد ملابسات معينة فى الجريمة تسهل الوصول إلى الجانى، وكذا الاستعانة بالأجهزة الحديثة، وغير ذلك كثير من أجهزة الأدلة الجنائية، وكل هذه الأمور دُرِّب عليها، وأتقنها، وأحسنها ومارسها الرجل الذى وُظِّف لهذا الأمر، وأُعِدّ له، فمن الأمانة أن يُسند تغيير المنكر باليد إلى السلطة؛ حيث إنها أقدر قطاعات المجتمع على تنفيذ هذا الأمر وضبطه دونما فوضى ولا خلل، ولا عشوائية ولا عَفْوية.

كذا نجد العلماء هم أقدر الناس على معرفة المنكر وحدوده، وهم أقدر الناس على ترهيب الناس من فعله؛ لصرفهم عن شرِّه وترغيبهم فى المعروف، وحَمْلهم على فعله، فأفضل وسيلة بالنسبة لهم هى الكلمة.

قول ابن مفلح فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

---

(1) رواه البخارى.

(2) رواه مسلم.

(3) يوسف: ٥٥.

قال: وهو فرض كفاية على من لم يتعيَّن عليه، وسواء فى ذلك الحاكم والمحكوم، والعالم والجاهل، والعادل والفاسق، بإذن ولى الأمر وبغير إذنه، وعلى الناس إعانة المنكِر، ونصره على الإنكار، وما اختص علمه بالعلماء اختص إنكاره بهم.

يعنى: أن الأمور التى لا يعرف حكمها إلا العلماء، ولا يستطيع إثبات حرمتها أو وجوبها إلا العلماء، فإنه يترك للعلماء أن يتوَّلوا الأمر والنهى فيها.

وبعد هذا العَرْض، أود أن أشير إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث أحب أن تتكاتف الأمة كلها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فالسلطة تحتاج إلى علماء فى بيان المنكر وحدوده، والعلماء محتاجون إلى السلطة فى إزالة المنكر الذى لم تنجح الكلمة فى إزالته، فإن الله يَزَع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. وعموم المسلمين كلهم عون للمنكِرين، سواء كانوا من العلماء أو من السلطة.

كل ما سبق كان فى إنكار المنكر والأمر بالمعروف، فما بالنا إن كان الأمر ليس بمنكر بل مخالفة فى الرأى! فيحاول بعض الحمقى أن يفرض رأيه مستدلًا بحديث:

« من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده... إلخ »[1].

والحديث من جهله بريء، وبعضهم يأخذ طرف القول الذى ينصر رأيه؛ مخالفًا فى ذلك الأمانة العلمية فى نقل النص، ويجتهد فى فرض رأيه على العلماء والناس، وُيحْدِث فتنة بين المسلمين تحت ستار أن تغيير المنكر واجب على المسلم، ويعلم الله أن تشويشه هذا على أهل الإيمان وعلماء الإسلام هو المنكر بعينه؛ حيث أنهم ـ بأمثال هذه الأفعال الحمقاء ـ يزرعون الفتنة بين المسلمين، ويشتتون جمعهم، ويفرِّقون كلمتهم.

كيف غاب عن هؤلاء أن أئمة الدين والفقه لم يلزموا الأخذ بمذاهبهم والتزام العمل بها، بل كانوا لا يرون غضاضة من هذا الخلاف، وكان الواحد منهم إذا رأى المصلحة لا يأنف أن يرجع إليها؟!

فالإمام أبو حنيفة مثلًا كان يُفضِّل الصدقة على حج التطوع، فلما حج ورأى مشقته عاد عن قوله هذا إلى تفضيل الحج.

والإمام الشافعى لما انتقل من العراق إلى مصر عاد فأنشأ مذهبًا جديدًا وترك مذهبه الأول، إلا بضعًا وعشرين مسألة منه.

وجدير بأن يذكر فى هذا المقام موقف الإمام مالك رضى الله عنه الذى لم يرض للخليفة أبى جعفر المنصور أن يجبر جميع المسلمين على العمل بكتابه الموطأ، رغم شدة تحرِّى الإمام مالك فى روايته له، وموافقة علماء الدين عليه، وعلَّل الإمام مالك رَفْضَه هذا بقوله: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا فى البلاد، وقد يكون عند بعضهم من الأحاديث ما لم يبلغنى، ولو بلغنى لغيَّرت شيئًا مما دونته.

---

(1) صحيح مسلم. مشكول وموافق للمطبوع – (١ / ٥٠).

وكان بعضهم يعمل باجتهاد غيرهم ترخُّصًا، أو موافقة لجماعة المسلمين. من هذا ما رُوِى عن الإمام أحمد رحمه الله، فقد كان الجمهور يرى أن الحجامة أو الفَصْد تنقض الوضوء، فَسُئِل عمَّن رأى الإمام احتجم وقام إلى الصلاة ولم يتوضأ، هل يصلى الإمام أحمد خلفه؟ فقال: كيف لا أصلى خلف مالك وسعيد بن المسيِّب؟

وكان أبو حنيفة وأصحابه يرون الوضوء من خروج الدم، ولكن أبا يوسف . صاحب أبى حنيفة . رأى هارون الرشيد احتجم، وكان مالك أفتى هارون بأنه لا وضوء عليه إذا هو احتجم، فصلّى أبو يوسف خَلْفه ولم يُعِد الصلاة.

ورُوِى أن الشافعى ترك القنوت فى الصبح لمَّا صلى مع جماعةٍ من الحنفية فى مسجد إمامهم ببغداد.

قال الحنفية: فعل ذلك أدبًا مع الإمام.

وقال الشافعية: بل تغيَّر اجتهاده فى ذلك الوقت.

وقال كاتب مقدمة المغْنِى [1]: الظاهر مما تقدم أنه لم يرد أن يخالف جماعة من المسلمين مخالفة عمليّة فى مسألة اجتهادية غير قطعية، فإن اختلاف الظواهر من أسباب اختلاف البواطن.

كما يؤخذ من حديث: « عباد الله، لَتُسَوُّنَّ صفوفكم،أو ليخالِفَنَّ الله بين وجوهكم » [2].

بهذه الروح الطيبة، وبهذا التسامح، حمل أئمة السلف راية الدين دون انتصار لهوى، أو تعصب لرأى؛ لذا حفظهم الله، وصانهم من التحاسد والتخاصم، وانتفعت الأمة بعلمهم وبأعمالهم، فَرَضِى الله عنهم، وجزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء.

(1) راجع: المغنى لابن قدامة والشرح الكبير، المقدمة، ص ٢١.

(2) رواه الجماعة من حديث النعمان بن بشير مرفوعًا.

نماذج من الرفق فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
وأمثلة لأدب الدعوة وخلق النصيحة

القرآن سَخِيٌّ فى عطائه لكثير من هذه النماذج الطيبة، وسنة المبعوث الأمين صلى الله عليه وسلم زاخرة بتلك الصور المشِّرفة من الدعوة إلى الله عز وجل برفق ولين، أو الحوار والجدل بالتى هى أحسن.

ومن النماذج التى قدمها القرآن الكريم لأهل الإيمان، دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه؛ ليؤمن بالله تعالى، ولنتأمل آيات القرآن الكريم وهى تعرض لنا نُصْح سيدنا إبراهيم لأبيه، وقد ضاق الأب بجوانب دعوته.

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧)) [1].

يا له من أسلوب عَذْب رقيق، تبدأ فيه كل جملة بكلمة: ﭐ ﭑ ﭒ المشْعِرة بالتلطف والرقة والاحترام، فإذا أخذت عزة الكفر أباه، وهدد سيدنا إبراهيم عليه السلام بالرجم إن عاود النصيحة مرة أخرى، ثم أمره أن يهجره، كان رد الفعل من الخليل عليه السلام ردًّا جميلًا، وقولًا حميدًا، قال الخليل عليه السلام:

(سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) .

هكذا يكون أدب النصيحة، وهو أمر لا يسمو إليه إلا المخلصون.

- **نموذج آخر من هَدِى القرآن الكريم فى النصيحة:**

لما أرسل الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام إلى فرعون طلب سيدنا موسى أن يجعل الله له وزيرًا من أهله، فأرسل الله معه أخاه هارون، وكانت الوصية لهما بأن يذهبا إلى فرعون ليدعواه إلى الله تعالى برفق ولين:

(فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [2].

لكن فرعون قابل هذه الدعوة الطيبة بكبر وعناد، بل يَمُنَّ على سيدنا موسى فيُذَكِّره بما كان منه من تربيته فى بيته، وهو طفل رضيع، ويعنفه على قتل رجل من جماعته فرعون، ويصفه بالكفر والجحود، فماذا كان رد الفعل من سيدنا موسى عليه السلام؟

لقد كان رد الفعل كله حكمة والتزامًا بأدب النصيحة والدعوة إلى الله... لم يسبّ سيدُنا موسى فرعونَ كما سبَّه، ولكن تلطَّف معه، وذكَّره

---

(1) مريم: ٤١ . ٤٧.

(2) طه: ٤٤.

. فى رفق ولين . بأن تربيته له فى بيته ما هى إلا نتيجة حتمية لاستعباده بنى إسرائيل ولولا ذلك ما دخل موسى بيت فرعون، فقال: (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) [1].

ويدخل فرعون فى حوار ساخن مع سيدنا موسى عليه السلام ويسأل عن ربه الذى يدعو إليه، ويثور فرعون ويغضب، ويهدد سيدنا موسى بالسجن:

(قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) [2].

لكن غضب فرعون وطيشه لم يُخْرِجا سيدنا موسى عن خط الدعاة المصلحين ، لقد ظل ملازمًا للحكمة والموعظة الحسنة.

(قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ) [3].

ولا يزال التحدِّى والعناد من طبع فرعون، فيقول:

(فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [4].

إن الحوار الهادئ، والقول الحكيم، والموعظة الحسنة تقدمت بسيدنا موسى إلى نقطة الحسم، وأظهر سيدنا موسى عليه السلام من المعجزات ما يثبت صدق دعوته ورسالته؛ وليظهر الحق واضحًا كالشمس فى وقت الظهيرة.

(فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١)) [5].

وعظ طريف بهذه الحادثة :

لما ذهب أحد القوم إلى المأمون العباسى ووعظه وأغلظ له فى القول، عاتبه المأمون قائلا :

يا هذا، لقد أرسل الله مَن هو خير منك إلى مَن هو شر مِنِّى، وأمره بالرفق واللين، وقال له: ألا تقرأ قول الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام، لما ذهب هو وأخوه إلى فرعون:

(فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [طه: ٤٤].

- **موقف مثير.. وعلاج نافع:**

روى أبو أمامة أن غلامًا شابًّا أتى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال:

يا نبى الله، أتأذن لى بالزنا؟ فصاح الناس به، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ادن، فدنا حتى جلس بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال النبى صلى الله عليه وسلم له:

---

(1) الشعراء: ٢٢.

(2) الشعراء: ٢٩.

(3) الشعراء : ٣٠.

(4) الشعراء : ٣١.

(5) الشعراء: ٤٦ ـ ٥١.

« أتحبه لأمك »؟ فقال: لا، جعلنى الله فداءك، قال: « كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم أتحبه لابنتك »؟، قال: لا، جعلنى الله فداءك، قال: « أتحبه لأختك »؟ [1] قال: لا، وجعلنى الله فداءك، قال: « فكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره، وقال:

« اللهم طهِّر قلبه، واغفر ذنبه، وحصِّن فَرْجه »[2].

فلم يكن شيء أبغض إليه منه، يعنى: الزنا.

فانظر أيها المسلم كيف عالج النبى صلى الله عليه وسلم هذا الداء برحمة ولين؟! ما عنَّفه النبى صلى الله عليه وسلم، وما حمل عليه بقسوة؛ بل جعل يخاطب عقله، ويقوِّى فى نفسه روح الخير، ويُضْعِف فى نفسه نار الشهوة بهذا المنطق الحكيم، إنه النبى.. إنه الرسول.. إنه المبعوث الأمين محمد صلى الله عليه وسلم.

فليكن رسول الله لنا أسوة وقدوة، ولنتعلم منه كيف نأخذ بأيدى العصاة إلى الطاعة.

وأود أن نرى موقفًا آخر حدث بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم، وكيف كان تغيير النبى صلى الله عليه وسلم لما حدث من منكر، وكيف أمر بمعروف؛ لأن الكثير يحفظ، لكن الذى ينجح فى التطبيق العملى قليل، فلقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم أعرابيًّا يبول فى المسجد، ورأى الصحابة يهمُّون ليُوقِعوا به، فقال:

« دعوه، وأَهْريقوا على بوله سَجْلا من ماء، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بُعِثْتُم مُيسِّرين، ولم تبعثوا مُعسِّرين » [3].

يا له من درس عملى بليغ، إن المبعوث الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يَضِق بفعلة الأعرابى، وإنما عامله بالحِلم والرفق، فترك الرجل حتى يُتِمَّ بَوْلته، ثم أمر بماء فأُفْرِغ على بول الرجل، وهنا فِقْهٌ.. لقد علَّم النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة الحكم الشرعى فى هذه المسألة وأمثالها.

هنا تربيته.. حيث وضَّح النبى صلى الله عليه وسلم للصحابة طريقة الدعوة إلى الله، وأنهم بُعثوا مُيسرين لا معسرين.

---

(1) زاد ابن عوف فى روايته: حتى ذكر العمَّة والخالة، وهو يقول فى كل واحدة: جعلنى الله فداءك، وهو صلى الله عليه وسلم يقول: كذلك الناس لا يحبونه.

(2) رواه أحمد بإسناد جيد، وقال الحافظ العراقى: رجاله رجال الصحيح.

(3) رواه الجماعة إلا مسلمًا.

رِبـاط متـين

لقد جمع الله المؤمنين برباط متين هو رباط الأخوة، فقال:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [1].

وعلى قدر قوة الإيمان على قدر ما تكون قوة رباط الأخوة، وحين تصح هذه الأخوة تذوب معها فوارق الجنسيات، والقوميات، والطبقات؛ فأخوة الإسلام تَجُبُّ كل هذه النزعات.

وهذه الأخوة لها حقوق، بيانُها واضح فى سنة المبعوث الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [2].

والمراد هنا: ليس نَفْى الإيمان وإثبات الكفر، ولكن المراد: نفى كمال الإيمان: فالتقدير: لايؤمن أحدكم إيمانًا كاملا حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه:

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم: « المسلم أخو المسلم، لايظلمه ولا يُسْلِمه، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كُرَب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[3].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

« حق المسلم على المسلم خمس: رَدُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس »[4].

إن رباط الإيمان بين المسلمين يجعلهم بنيانًا واحدًا متكاملًا، يقول النبى صلى الله عليه وسلم:

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضُه بعضًا » [5].

وما أروع هذا المثل الطيب الذى ضربه رسول الله صلى لله عليه وسلم حين قال:

« مثل المؤمنين فى توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم، مَثَلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحُمَّى » [6].

ولهذا التعاطف وتلك المودة بين أهل الإيمان صور شتَّى؛ من هذه الصور: ستر المسلم، وغض الطرف عما يرى الإنسان من عيوبٍ فى أخيه؛ إذ لو أن كل إنسان أشاع ما يعلم من عيوب إخوانه، ما بَقِى إنسان سليمًا من مقالة

---

(1) الحجرات: ١٠.

(2) رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه.

(3) متفق عليه.

(4) رواه البخارى ومسلم.

وروى مسلم: « حق المسلم على المسلم ست »، قيل: وما هى يا رسول الله؟ قال: « إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجِبْه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعُدْه، وإذا مات فاتبعه ».

(5) رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى رضى الله عنه.

(6) رواه البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير، رضى الله عنهما.

السوء، لقد توعد الله الذين يحبون أن تشيع مقالة السوء فى المؤمنين بالعذاب الأليم، فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ) [1].

والنبى صلى الله عليه وسلم قال:

« لاتُظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك » [2].

فمطلوب من المسلم ستر أخيه المسلم، حتى ولو كان الخطأ فاحشة منكَرة، إلا فى حالات أربعة بيَّنها العلماء، هى:

١. أن يَجْهر بالفاحشة ويعلنها، فَخْرًا بها[3].

٢. أو أن يفعل الفاحشة علنًا أمام الناس ويُعْلِمَهم.

٣. أو أن تنتشر الفاحشة فى الأمة، ويتجرأ عليها الناس.

٤. أو أن تكون الفاحشة حقًا فى النفس، أو فى المال يجب على الإنسان أن يشهد به، حتى لا يُهْدر حق أو يَضِيع دين.

لذا جاءت الأحاديث كثيرة تحثُّ المسلم على ستر أخيه وترغِّبه فى ذلك؛ منها قوله صلى الله عليه وسلم:

«... ومن ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة » [4].

وقوله: « من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة » [5].

كذلك من ألوان المودة والتعاطف السَّعْى فى قضاء حاجات إخوانه المسلمين على قدر استطاعته، يقول النبى صلى الله عليه وسلم: « من كان فى حاجة أخيه، كان الله فى حاجته » [6].

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه كان معتكفًا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه رجل فسلَّم عليه، ثم جلس، فقال له ابن عباس: « يافلان، أراك مكتئبًا حزينًا، قال: نعم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لفلان علىَّ حق ولاء، وحرمة هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ قال إن أحببت، قال: فخرج ابن عباس من المسجد، فقال له الرجل:

أنسيت ما كنت فيه ـ أى: من الاعتكاف، قال: لا، ولكنِّى سمعت صاحب هذا القبر، والعهد به قريب، فدمعت عيناه، وهو يقول: من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين »[7].

---

(1) النور : ١٩.

(2) سنن الترمذى ـ مكنز (٩ / ٤١٣).

(3) لقول النبى صلى الله عليه وسلم: كل أمتى مُعافَى إلا المجاهرين. وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يافلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره الله، ويصبح يكشف ستر الله عنه » رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(4) رواه مسلم.

(5) رواه مسلم ـ والموءودة هى البنت التى كانت العرب تدفنها حية بعد الولادة.

(6) متفق عليه فى البخارى ومسلم عن ابن عمر، رضى الله عنهما.

(7) رواه البيهقى، والطبرانى، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

كذلك من ألوان المودة والتعاطف تقديم النصيحة الخالصة لوجه الله تعالى وقد تقدم ذلك فى باب: أدب النصيحة. ولقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم من إهدار الأخوة تحت أىِّ عنوان، وما أبلغها من عظة! تلك التى تنقلها لنا كتب السنَّة يوم سمع النبى صلى الله عليه وسلم اثنين من عامة المسلمين، ينادى كِلاهما للآخر: يا للمهاجرين، فيغضب النبى صلى الله عليه وسلم ويقول: « أَبِدَعْوى الجاهلية تدعون، وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها منتنة »[1].

رحماك ربنا، فدعوى الجاهلية على ألسنة كثيرة نسيت أو جَهِلت أن الإسلام يَجُبُّ كل عنوان، نعم.. لقد حذر النبى الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من التفريط فى حقوق الأخوة أو الاستهانة بها، مهما كانت الدواعى التى تدفع لذلك، وإن من أظهر العلل التى تجنى على الأخوة تلك التى تصدر من المتأسلمين أو الشاردين فى فهمهم الواهمين فى حكمهم، الذين يصل الأمر بهم إلى أن يحقد الواحد منهم على كل من خالف جماعته فى الرأى، غرورًا بمفهومه، أين هذا وأمثاله مما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم: « بحسب امرئ من الشر أن يَحْقِر أخاه المسلم »[2]؟!

أو أن يتهم الأخ أخاه بالكفر، أين هؤلاء مما رواه أبو ذر رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول:

« من دعا رجلًا بكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك، إلا حار عليه»[3]؟!

أى: رجع عليه ما قاله، فصار هو أحق بما وصم به أخاه؛ ولذلك قال النووى: يحرم على المسلم تحريمًا مغلَّظًا أن يقول لمسلم: يا كافر.

بيد أن التطاول باللسان ـ سبًّا وقدحًا ـ واقع بصورة ظاهرة، أين هؤلاء من قول النبى محمد صلى الله عليه وسلم:

« من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حُرِّمَ ماله ودمه، وحسابه على الله تعالى »[4].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« ليس المؤمن بالطَّعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء »[5].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: النبى صلى الله عليه وسلم:

« سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر »[6].

وتَعْرِض لنا سنة المبعوث الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صورة لإنسان حكم على أحد الناس بما ليس له، بل زادت جرأته فأقسم بالله أن الله لن يغفر لهذا الرجل، ومثل هذا الإنسان موجود بين المسلمين، يطيش فيهم

---

(1) مسند جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه- باقي مسند المكثرين- مسند أحمد

(2) رواه مسلم.

(3) رواه البخارى ومسلم.

(4) رواه مسلم.

(5) رواه الترمذى وأحمد وابن حبان والحاكم.

(6) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

بلسانه، ويُعمِّم عليهم أحكامه، ويكيل لهم التهم، ما أحوج أمثال هذا الإنسان لهَدْى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم مما عرضته السنة فى هذا المقام! فقد روى جُنْدُب بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« قال رجل: والله لايغفر الله لفلان. فقال الله عز وجل: من ذا الذى يتألَّى علىَّ[1] أن لا أغفر لفلان؟ فإنى قد غفرت له وأَحْبطَتُ عَمَلَك »[2].

وإنه لدرس مفيد، وعظة بليغة يقدمها لنا النبى الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فعن جندب بن عبد الله رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بَعْثًا من المسلمين إلى قوم من المشركين، وأنهم التقوا، فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وأن رجلا من المسلمين قصد غفلته، وكلنا نتحدث أنه أسامة بن زيد، فلما رفع السيف، قال: لا اله الا الله، فقتله، فجاء البشير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله، فقال:

« لم قتلته؟ فقال: يارسول الله، أوجع فى المسلمين، وقتل فلانًا وفلانًا، وسمى له نفرًا وإنى حَمَلْت عليه، فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« أقتلته »؟ قال: نعم، قال: « فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة »؟ قال: يا رسول الله، استغفر لى، قال: « وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة »؟ قال: فجعل لا يزيد على أن يقول:

« كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة »؟ [3].

نسأل الله الهداية لهؤلاء الذين وقعوا فى تكفير المسلمين والعلماء العاملين؛ مما أدى إلى تأليب المسلمين عليهم؛ لأسلوبهم المنفِّر، وما وقعوا فيه من مغالاة وتشدد، لقد ردَّ النبى صلى الله عليه وسلم كل فهم شارد، حتى ولو بدا فى ظاهره أن فيه تبتُّلا وتعبدًا.

ولقد بَسَطت السنة ـ لكل ذى عقل ـ صورًا من المغالاة، وألوانًا من التشدد وقع فيها بعض الشباب على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وردَّهاالنبى صلى الله عليه وسلم؛ فقد قال أنس بن مالك رضى الله عنه:

« جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم، فلما أُخْبِروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبى، قد غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، قال أحدهم:

أما أنا فإنى أصلِّى الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا ـ وهذا فهم مِعْوَجٌّ، رفضه النبى صلى الله عليه وسلم ـ فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

« أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أَمَا والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأُصلِّى وأَرْقد، وأتزوج النساء، فمن رَغِب عن سنَّتى فليس منِّى »[4].

---

(1) يتألّى علىّ: يحلف علىّ.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه مسلم. وفى بداية رواية قال: « أفلا شَقَقْتَ عن قلبه حتى تعلم، أقالها أم لا »؟.

(4) رواه البخارى.

- وليس هناك من شك فى أن احتقار المسلم لمسلم آخر، أو ازدراءه، أو اتهامه بالكفر، أو التشدد والمغالاة، كلُّها أمور تجنِى على رباط الأخوة وتضعفه، وأىُّ ضعف يصيب رباط الأخوة الإسلامية إنما هو إضعاف لشوكة المسلمين، وإتاحة الفرصة ـ سَخِيَّة ـ لخصوم المسلمين وأعدائهم أن ينالوا مأربهم، ويصبح المسلمون فريسة سهلة لكل حاقد وملحد، فمتى نكون كبارًا، ترتفع هممنا للبناء لا للخلاف؟ ومتى نحترم هذا الرباط الذى ربط الله به قلوب المؤمنين، حينما قال: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)[1].

(1) الحجرات: ١٠.

نداء من القلب لقيادات التيار الإسلامى وشبابه

إن العلل السابقة التى أثَّرت، وتؤثر، على التيار الإسلامى يمكن القضاء عليها، وسد باب التنازع عن طريق لقاء مخلص بين قيادات الجماعات المختلفة وبين كبار رجال العلم والدعوة، لابد من لقاء يتجرد فيه الجميع عن كل هوى أو حَزازات شخصية، أوالحضور بأرضية مبيتة للدفاع عنها، إنَّ لقاءً مخلصًا كهذا سوف يثمر منهجًا متفقًا عليه بين الجميع، تُحدَّدُ فيه كلياتٌ يلتقى حولها الجميع؛ حتى يصبح تعدد الجماعات للتكامل والتعاون، تعددَ تنّوع، وليس تعدد تضاد.

وبذلك نُجنِّب التيار الإسلامى أضرارًا جسيمة، وندفع عنه كثيرًا من الفتن.

وأمر آخر للعلماء الأجلاَّء والدعاة الأفاضل، هو ألا يقتصر نقدهم على الشباب فقط؛ بل كما ينكرون عنف الشباب، عليهم أن يُنكروا تفريط الحكومة وتقصيرها فى تطبيق شرع الله عز وجل، وألا يخافوا فى الله لومة لائم؛ حتى لايَضَعوا أنفسهم موضع شبهة.

كذلك على الداعية أن يُحْدِث التفاعل النشط بين القرآن والمجتمع؛ حتى تصبح أفعال الناس وأقوالهم نسيجًا قرآنيًّا، مطلوب من الداعية كذلك أن يُقّوى إتصال المجتمع بسنة النبى صلى الله عليه وسلم، ولن يتأتَّى ذلك إلا بمناقشة القضايا التى يعيشها الناس، أما ذلك الداعية المَكْتبِىّ الذى يقرأ من الكتب، ثم يفرغ على الناس دونما ربطٍ بواقع مشاكلهم، فإن أثره ضئيل وغير فعَّال.

- ولابد من التنبه للموضوعات التى يدور حولها الاختلاف، ومناقشتها مع الشباب دون تَبَنٍّ لرأى من الآراء.

وأن يلمس الشباب روح الأستاذية من العلماء؛ فالفكر لايعالج إلا بالفكر.

لاصلاح لنا ولا فلاح إن لم نعتصم بما أمر الله بالاعتصام به؛ حيث قال الله تعالى: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ) [1].

لانجاح لنا إن لم ننته عما نهانا الله عنه؛ حيث قال الله تعالى : (وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) [2].

ونقطة الالتقاء أشار إليها رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله:

« تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنَّتى » [3].

ولايحسب أحد أنِّى أدعو إلى أن تُلْغى الجماعات والعناوين.. لا، فإن هذا أمر لا يُعقل؛ بل هو ضرب من الخيال.

بل إنى أدعو أن يظل كلٌّ تحت عنوانه، وفى جماعته، لكن لِيَعْلم الجميع أن أى عنوان ما هو إلا قناة لتنظيم الجهود وتوحيدها، والولاء يكون له عز وجل، وليس لعنوان أو للافته.

---

(1) آل عمران: ١٠٣.

(2) الأنفال: ٤٦.

(3) مسند أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه- باقي مسند المكثرين - مسند أحمد.

وحيث وجد المسلم عمل خير للمخلصين ساهم معهم بأوفر نصيب، لا يهمه أن يكون خفيرًا أو وزيرًا، لا يهمه أن يكون تاج الدعوة أو نعلها الذى تسير فيه، كل ما يهمه أن يسد حاجة الدعوة فى ناحية تطلبه، ويملأ فراغًا تدعوه الدعوة إليه، إنَّ من يشتغل بالدعوة يصبح مِلْكًا لها، وليس مِلْكًا لنفسه، فلا يكون جُلُّ همِّه أن يبنى نفسه، ويُشهر اسمه فى الآفاق، لاينتظر صورة فى مجلة أو ثناءً من إذاعة.

- وإن كان القرآن الكريم دعانا جميعًا للفقه والعلم؛ لوجه الله تعالى:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [1].

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) [2].

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) [3].

فَلِمَ حَصْر الذهن والفكر فى قوالب فكرية معينة، وتَوجُّه كل جماعة لكتب معينة تعكف على قراءتها وتتعصب لما فيها، مع أن المسلم لا يَحدُّه عنوان، ولا تحتويه لافتة؟ لماذا يكون الحديث والنقاش فى نقط الاختلاف، ولايكون فى نقط الاتفاق؟ ويرحم الله الشيخ حسن البنا، حين قال: «فلنتعاون فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه ».

أحبــة الإيمان:

لا مناص عن التلاقى؛ فإن رصاصات العدو لا تفرق بين جماعة وأخرى، لا مناص عن التلاقى؛ لتعود للإسلام عِزَّته، وتعلو رايته، وتصان دماء المسلمين فى العالم كله، وكل هذا لا يحدث بالكلام، والهتافات، والخلافات، والتهم المتبادلة، وإنما بالعمل الجاد المستمر، والاستفادة بما فى أيدينا من فرص، بدلا من البكاء على ما ليس بأيدينا.

(إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [4].

ساعتها لن يجنى المسلمون وحدهم الثمرة؛ بل العالم كله ـ مسلم وغير مسلم ـ سينعم.

أحبــة الإيمان:

إن شاء الله تعالى سيشرق الفجر مهما اشتدت ظلمة الليل، لكن الطريق شاق، ويحتاج إلى صبر، والصبر مُرٌّ، ولكنه ـ على مرارته ـ طيب الثمر، وأجمل حلل الإيمان، وأدل دليل على العقل، وما دام هناك صبر يحدوه إيمان، ويقوده عقل، فلنبشر بإشراقة الفجر بإذن الله وعونه وتوفيقه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

---

(1) العلق: ١.

(2) فاطر: ٢٨.

(3) الزمر: ٩.

(4) الرعد: ١١.

(فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)

(غافر: ٤٤)

الفهرس

	الصفحة
المقـــدمة	٧
تمهيـــد	٩
أمـــة واحـــدة	١٣
واصل تصل	٢٩
فردية وعفوية	٣٢
الدعوة بين المضمون والأسلوب	٣٤
أدب الدعوة وخلق النصيحة	٣٨
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وحديث مظلوم	٤٣
نماذج من الرفق فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأمثلة لأدب الدعوة وخلق النصيحة	٥٦
رباط متين	٦٣
نـــداء من القلب	٧٤
الفهرست	٨٠

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٩/٧٨٠٢

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والطبع الأولى
الزقاق ٣/ حي نينوى الموصل جوار جامع الدعاء

مكتبة
د. محمد داود

- كى لا يتعصب أحد لرأى .
- كى لا ينتصر أحد لهوى .
- حتى لا تصبح المشكلة هى مشكلة الأختيار بين حلول المشكلة .
- حتى ترتفع هممنا للبناء لا للخلاف .